# المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية المستنبطة من السيرة النبوية المطهرة (دراسة تحليلية)

*ياسين علي المقوسي**


## ملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية المستنبطة من السيرة النبوية، ربطاً لأصالة السيرة النبوية بحاضر الأمة وواقعها المعاصر، ولتكون المرشد والضابط للعلاقات الزوجية للمسلمين. وللإجابة عن أسئلة الدراسة. تمَّ استخدام منهجين في الدراسة، الأول: المنهج النوعي، حيث تمّ استخدام أسلوب تحليل المحتوى، للكشف عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية المطهَّرة، من خلال إيراد مواقف من السيرة النبوية الصحيحة إسناداً، ودراستها دراسة تحليلية، والثاني: المنهج الاستنباطي، للوصول إلى التوجيهات والمضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية.

وتكوّن مجتمع الدراسة من جميع أحاديث السيرة النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ، وتكونت عينة الدراسة التي تمَّ تحليلها من عينة قصدية من أحاديث السيرة النبوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية، وبلغ عددها (اثني عشر موقفاً نبوياً).

وقد أظهرت نتائج الدراسة: أنَّ السيرة النبوية تضمنت قواعد وتوجيهات تربويّة، ترشد الناس إلى تفصيلات دقيقة ناظمة للعلاقات بين الزوجين، وكان النبي ﷺ يتعامل مع زوجاته على أساس أنهنَّ كفءٌ للرجال.


**الكلمات الدالة:** العلاقات الزوجية، السيرة النبوية.

**المقدمة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

لأنَّ الإسلام دين البشرية، ومنهج بناء الحضارة الإنسانية، فقد منح الزواجَ باعتباره علاقة شرعية بين رجل وامرأة عناية بالغة في مشروعه الاجتماعي والحضاري، حيث جاءت كثير من أحكامه وتوجيهاته مركّزة على الرجل والمرأة، والطفل والأسرة، والعلاقات المحيطة بهم، واتجهت تلك الأحكام نحو تنظيم وحماية هذه الدائرة أو المضغة المركزية من المجتمع والحياة، التي إذا صلُحت صلُح المجتمع والعالم كله، وإذا فسدت فسد المجتمع والعالم كله.

ومهما تعددت النظريات ومهما كثرت الرؤى والمقالات، حول أسرار السعادة الزوجية وفنونها وسبل الوصول إليها، إلا أننا لن نستطيع مهما فعلنا أن نصل لتلك الصورة المثالية المشرقة، إلا تلك التي قدمها نبي الرحمة ﷺ للأمة في علاقته بزوجاته وأهل بيته، إذ يجد كل رجل وامرأة في سيرته الجليلة ما يلائم ظروفه، ويتناسب مع حاله، وما يصلح به علاقته بزوجه وشريك حياته.

لقد بذل العلماء المتقدِّمُون جُهوداً مضنيةً في حفظ السيرة النبوية وروايتِها، وأشغلهم ذلك في بعضِ الأحيان عن العناية بتحليل الأخبار ودراستها والنَّظر في أسبابِ الأحداث ومُلابساتها. ولم يأخذ جانب التَّحليل والدِّراسة حقَّه... بسببِ اعتماد الكتب التَّاريخية القديمة على سَرْدِ الرِّواياتِ فقط؛ إذْ قلَّما يُشير المُؤرِّخ إلى السُّنن والنَّواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التَّاريخ، رغم أنَّ القُرآنَ الكريم لفتَ نظر المسلمين إلى ذلك كلِّه بوضوح (العمري، 1991)، إنَّ جهود علماء السيرة جهودٌ مُقدّرةٌ ومباركةٌ في حفظ الحديث والسيرة النبوية، ولكن ظروف الزمان والمكان حصرت مهمتهم بالحفظ رواية، ويقع على عاتق علماء السيرة المعاصرين إكمال ذلك الجهد العظيم، بأن تركز بحوثهم ودراساتهم على اكتشاف كنوز السيرة النبوية بالتحليل والوصف العلمي، وربط معانيها بالعلوم التربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية المعاصرة؛ ليعيش المتعلمون في فضاءات السيرة الواسعة، ومعانيها السامية كتعليم ذي معنى، قادرين على تطبيق مضامين السيرة في جوانب حياتهم المتعددة.

وسيرته ﷺ كتطبيق عملي لآيات كتاب الله وأحاديثه

* جامعة العلوم الإسلامية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2013/4/29، وتاريخ قبوله 2013/6/27.



© 2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الشريفة تضمن لنا إنشاء واقع تربوي إسلامي سليم، خالص من التصورات المخالفة للفطرة، وتضمن للرجل والمرأة معالجة دقيقة لشتى أصناف المشاكل وألوان الأزمات الأسرية، وتضمن بعد هذا كله منهجاً واضحاً في كيفية صياغة مفهوم الأسرة من المنظور السنني الكوني العام، باعتبارها مضغة المجتمع، التي إذا صلحت صلح وإذا فسدت فسد! قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾(الفرقان:74)، فقد جعلت من أهداف الزواج والأسرة تزويد المجتمع والأمة بالقيادات الرسالية، التي تضطلع بمهام التغيير والإصلاح والتجديد والنهوض الحضاري للأمة.

والأسرة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة تعاني اليوم من مشكلات كثيرة وكبيرة، وفي مقدمة ذلك تقهقر الدور التربوي والاجتماعي للأسرة، بسبب أميَّة الوعي الديني والتاريخي المستنير من جهة، وبسبب جاذبية النماذج الثقافية والاجتماعية للحضارة الغربية المعاصرة من جهة أخرى، وعمق الفجوة الحضارية المزدوجة التي تعيشها الأجيال الإسلامية المعاصرة من جهة ثالثة، والتي تجد نفسها معزولة عن روح وعمق الأصالة الإسلامية المستنيرة، وعن روح الحضارة المعاصرة في الوقت نفسه، فهي تعيش في منطقة تجاذب حضاري تنافري هامشي حاد، فكانت الحاجة تتطلب دراسة السيرة النبوية بجانبها التحليلي والوصفي لواقع الحياة المعاصرة.

إنَّ الدِّراسة المفيدة للسِّيرة النبوية تحصل حين تُدرَس على أنَّها سُننٌ ربَّانية يُمكن أنْ تتكرر كلما تكررت ظروفُها، ولا تتحقق أبداً حين ننظر للسِّيرة على أنَّها مُجرَّد أحداث مُفردة قائمة بذاتها حدثت زمن البعثة النَّبويَّة... بل هي آيات وعِبَر في شؤون الحياة كلِّها، والقوة الدَّافعة لأجيال المسلمين؛ فهي تربط المسلم بالسُّنن الرَّبانية، وتربط قلبَه باللهِ تعالى (قطب، 1991)، فقد جعل الإسلامُ مسؤولية القيام بأعباء الأسرة مسؤولية مشتركة بين الزوجين، ونظَّم العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة على أساس قيم تربوية ثابتة، وقد فصّل النبي ﷺ –قولاً وفعلاً– قيم التماسك الأسري ورغّب فيها، وقد تضمنت السيرة النبوية مواقف عملية، ونصوص تطبيقية ناظمة للعلاقات الزوجية، عملت على بناء منظومة قيم إسلامية جامعة ترسّخ كل سلوك إيجابي، وتنفي كل سلوك مناقض لقيم المودة والسكينة بين الزوجين، فجاءت هذه الدراسة محاولة الكشف عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية من خلال دراسة عينة مختارة من مواقف النبيﷺ والمتضمنة في السيرة النبوية.

**مشكلة الدراسة**

إنَّ غياب النَّظرة التحليلية في دِراسة السِّيرة النبوية المطهَّرة والتي غلب عليها الطَّابع التسجيلي السَّردي الذي يُحاول إثبات الوقائع، ووصف تطور الأحداث وتقرير النتائج دُون الالتفات إلى المقدمات ومحاولة اكتشاف المنهج الذي يُسيِّرها، ومع أنَّ الدراسات شملت وصفاً دقيقاً لكلِّ أحوال النَّبيﷺ وأفعاله وكلِّ ما يتصل به، إلا أنَّ الحديث عن المعجزات والمؤيِّدات الغيبية كان على حساب سُنن عالم الشَّهادة التي يتحرَّك في إطارها ويصنع الأحداث ويحقق النتائج. (برغوث، 1996م، ص45)

وفي ظلّ الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين، والاتهام بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة الواقع المعاصر، بات مطلوباً اليوم أكثر مِن أيِّ وقت مَضَى قراءة السِّيرة ودراستُها دراسة إستراتيجية في مختلفِ الحالات الاجتماعية، والتربوية، والعلمية، والإدارية، والسِّياسية، والاقتصادية، والأمنية والثقافية ... ففي السِّيرة بيان لجميع الحالات أو أصولها؛ خلافاً لصنيع بعض كُتَّاب السِّيرة حين يُصورون حياة النَّبيﷺ على أنها صراع، وحروب، وغزوات، وسرايا، ويغفلون عن الجوانب الأخرى. فدراسة السيرة النبوية تحتاج إلى دقَّة تحليل الواقع المعاش من خلال مُتخصصين، لا مُتحمِّسين فقط، ثم دراسة السِّيرة وتحليلها، ثم تحديد مواقع الاقتداء من مسيرة السِّيرة، أو اكتشاف المرحلة من السِّيرة التي تمثل حالة الاقتداء وكيفيته من خلال ظروف الحال نفسه. (حسنة، 1996)

لذلك جاءت هذه الدراسة لتحليل جزء من المواقف النبوية الواردة في السيرة النبوية، واستنباط المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية، ربطاً لأصالة السيرة النبوية بحاضر الأمة وواقعها المعاصر، ولتكون المرشد والضابط للعلاقات الزوجية للمسلمين، وتفعيلاً للفكر التربوي الإسلامي ليكون سلوكاً تربوياً ضابطاً للعلاقات الزوجية.

**أسئلة الدراسة**

تهدف الدراسة إلى الكشف عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية المستنبطة من السيرة النبوية، وهي محاولة للتأصيل التربوي لمضامين السيرة في مجال العلاقات الزوجية، من خلال الإجابة عن السؤالين التاليين:

**السؤال الأول: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية؟**

**السؤال الثاني: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في حديث الإفك؟**

**أهداف الدراسة**

السيرة النبوية باعتبارها النموذج التطبيقي الفاضل للإسلام تُعدّ منهاجاً تربوياً متكاملاً، لما تحويه من أساليب تربوية مختلفة، وإنَّ من لوازم الإيمان برسالة سيدنا محمدﷺ التحاكم إليه في كل شؤون الحياة ومجالاتها، والتي منها الحياة

الزوجية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

1) استنباط المضامين التربوية الناظمة للعلاقة الزوجية من خلال التحليل التربوي للمواقف النبوية في السيرة النبوية، من خلال مواقفه ﷺ مع زوجاته، وعلاقات الصحابة مع زوجاتهم.

2) الإسهام في تأصيل الجوانب التربوية للعلاقة الزوجية، وإبراز دور السيرة النبوية في وضع الأسس والمبادئ التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية.

3) استنباط الحلول الشرعية التربوية التي تقي الأسرة المسلمة من شرور الاختلاف والتفرق المذموم، وتعالج أخطارها وآثارها السلبية على واقع الأمة ومستقبلها.

**الأدب النظري والدراسات السابقة**

إنَّ مقاصد الزواج في الإسلام هي مقاصد الفطرة البشرية، فقد أثبت الإسلام للإنسان حقه في الزواج وإنشاء مؤسسة الأسرة، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الروم: 21)، وأولى الإسلام الأسرة عناية فائقة، "لأنَّ مؤسسة الأسرة من أهم المؤسسات وأخطرها، فهي التي تُقدّم للمجتمع أفراداً، هم لبنات بناء المجتمع، والأسرة في منظور السيرة النبوية مؤسسة اجتماعية والمدرسة الأولى لتربية أفراد المجتمع، وإعدادهم للحياة الاجتماعية في أخطر مراحل التربية، وأكثر مراحل النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والجسمي حساسية".(البُغا، 1990م، ص194)

"إنَّ الحاجة إلى الزواج، ليست حاجة لمجرد قضاء النهمة الغريزية، ولكنها في الواقع ضرورة نفسية عاطفية، تنضج في الإنسان كلما كان سويّ التكوين والطبع، وفي جو الأسرة يعيش الزوجان كلٌّ في رحاب الآخر ويتحقق السكن النفسي، الذي يشعر به الرجل إزاء زوجته، ويُعدُّ هذا من المطالب النفسية التي لا يستغني عنها ولا يجدها في غير الزواج" (عمر، 1997م، ص238)، فقد جاء في قصة زواج النبيﷺ من أُمّنا حفصة: من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "... أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر قال: فقلت: إنْ شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالٍ ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان. فلبثت ليالي ثم خطبها رسول اللهﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلاّ أني كنت أعلم أنَّ رسول اللهﷺ قد ذكرها فلم أكن لأُفشي سرّ رسول الله صلى لله عليه وسلم..." (البخاري، 2003، حديث رقم: 5122).

والشواهد النبوية إرشاد للمسلمين لبناء مؤسسة الأسرة، وحثّ الإسلام على مشروعية الزواج، للدور الكبير للأسرة في بناء الكيان الاجتماعي، وضمان استمرار الحياة البشرية، فالإسلام يُوجب على المسلم تحقيق حياة زوجية صالحة سعيدة، وإمداد الأمة بذريّة صالحة ومصلحة، قدوة في سلوكها الإسلامي الحضاري، فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، وهي الأساس في أيّ نظام اجتماعي يريد مواصلة الحياة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾(الفرقان:74)

"في الزواج راحة للقلب وتقوية على العبادة، وإذا رُوِّضت النفس باللذات في بعض الأوقات؛ قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الراحة، ما يُزيل الكرب ويروّح عن القلب" (الخشت، 1984، ص27). ولذلك يُوجّه النبيﷺ المسلم إلى إدراك موقع الزواج من نظام الوجود، حتى يتسع أفقه ليستوعب مقاصد الزواج الأساسية، فيدرج زواجه في ذلك السياق الكلّي الذي يعطي لهذا الزواج أبعاده الاجتماعية والإنسانية، ولا يختزله في عاطفة عارضة، أو شهوة عابرة، أو علاقة ثنائية وعائلية واجتماعية محدودة، لأنَّ الزواج في حقيقته هو بوابة الانفتاح الحقيقي على الحياة عبر العلاقات والوشائج الراسخة التي تترتب عليه وتنبثق منه في اتجاه الزوجية، والبنوة، والأُبوّة، والأُخوّة، وعلاقات القرابة، التي تتسع دوائرها الاجتماعية والإنسانية. وتأكيداً على هذا الجانب التربوي ورد في قصة جابر بن عبد الله مع رسول اللهﷺ بعد غزوة ذات الرقاع من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "... قال رسول اللهﷺ لجابر: (أتزوجت؟) فقلت: نعم، فقال: رأيتني أكفه عن رسول اللهﷺ فقال: (أتزوجت؟) فقلت: نعم، فقال: (أبكراً أم ثيباً؟) فقلت: بل ثيب، قال: (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟)، فقلت: إنَّ لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن...". (البخاري، 2003، حديث رقم: 2097. ومسلم، 1997، حديث رقم: 1089)

ولما كان عقد الزواج ميثاقاً بين الرجل والمرأة، يُراد له الدوام، فقد رتّب الإسلام حقوقاً للزوجين على بعضهما البعض، وحقوقاً مشتركة بينهما، وحقوقاً للآباء، وأخرى للأبناء، ضماناً لاستمرار الحياة الزوجية، وصوناً لها من عوامل الهدم، وحفظاً للقيم الأخلاقية في الأسرة والمجتمع. "فالإسلام في تناوله الطبيعة البشرية لا يفرّق بين الذكر والأنثى، فيعترف بالقيمة الإنسانية للمرأة، ويؤكد حقوقها الطبيعية، والإسلام في تقديره

لقيمة المرأة إنما يؤكد دورها في البناء والمساهمة في بناء المجتمعات الإسلامية، ولذا تؤكد السيرة النبوية هذه الحقيقة بتوجيه الآباء إلى البحث والسعي لتزويج بناتهم من أشخاص صالحين" (الراوي، 2008، ص268). ولذلك احترم الإسلام ميثاق الزواج، واعتبره رابطة روحية واجتماعية مقدسة، يجب حمايتها والحذر الشديد من أي مساس بها وبقدسيتها، فالزواج أمانة كما قال النبيﷺ في وصيته بالنساء: (اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله). (مسلم، 1997، حديث رقم: 1218)

إنَّ الحياة الزوجية وفق المنهج النبوي حياة منضبطة، تقوم على قواعد أخلاقية، تحكمها جملة من الأحكام الشرعية، وليست حياة سائبة، يتصرف فيها الزوجان كما يحلو لهما. وتُشير الدراسات إلى أنَّ من أبرز الأسباب المؤدّية إلى التفكّك الأسري، وازدياد حالات الطلاق، عدم معرفة الزوجين، لما يجب على كل منهما القيام به تجاه الآخر (قوصى، 1998). ولذلك فقد احترم الإسلام النفس البشرية، ورفع من قيمة الإنسان، وأوجب له حقوقاً وحريات فردية واجتماعية، فهي واجبات شرعية، وفروض إجبارية، مكفولة ومصانة بضمانات تشريعية وجزائية قضائية. "فالأصل في الإسلام أنَّ البشر متساوون من حيث كونهم بشراً، أصلهم واحد، وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم وأنسابهم". (البُغا، 1990م، ص286)

وكل تلك الشواهد النبوية دليل على عناية الإسلام بموضوع التربية عناية فائقة، حيث جعلها الميدان التطبيقي لإعداد الفرد لعمارة الأرض والاستخلاف فيها كما أمر الله تعالى، ولا أدلَّ على ذلك من سيرة المصطفىﷺ في كونها الميدان التطبيقي لشرع الله تعالى، "فقد كان رسول الإسلام بين زوجاته وأصحابه مثلاً أعلى للخُلق الذي يدعو إليه فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات". (الغزالي، 1994، ص١٦)

**الدراسات السابقة**

**دراسة الحربي (2011)**، هدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالعلاقة الزوجية من كتاب النكاح من صحيح الإمام البخاري في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والنفسي، وما يخص آداب المعاشرة الزوجية مع بيان التطبيقات التربوية للمضامين المستفادة في المدرسة والمجتمع والأسرة والإعلام. واستخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي لاستنباط المضامين التربوية. ومن نتائج الدراسة أنَّ أحاديث كتاب النكاح من صحيح البخاري تضمنت كثيراً من المضامين التربوي، التي تسهم في تكوين العلاقة الزوجية السعيدة.

**دراسة الزهراني (2011)**، وهدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالفرد والمجتمع من أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخاري، وبيان التطبيقات التربوية لتلك المضامين على فكر وسلوك المسلم في واقعه ومجتمعه. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لجمع وتحليل أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، والمنهج الاستنباطي الاستنتاجي لاستخراج مضامين ومعاني الحكم التربوية من الأحاديث النبوية. ومن أهم نتائج الدراسة: أنَّ السنة النبوية هي مصدر وقاعدة البيانات لشتى العلوم والمعارف، ومن ذلك علم التربية والتزكية.

**دراسة محمد (2010)**، وهدفت إلى التعرّف على أهمية الوصايا النبوية، واستنباط المضامين التربوية من تلك الوصايا في الجانب العبادي، والجانب الخُلقي، والجانب الاجتماعي، والجانب العلمي. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أنَّ العبادة في الإسلام أداة تربوية لطهارة النفوس وتزكيتها، وذات أثر دائم ومتجدد في التنشئة والصقل والتهذيب والتذكير، وقد اشتملت الوصايا النبوية على أسس أخلاقية.

**دراسة الزهراني (2009)**، وهدفت إلى استنباط المضامين التربوية العقدية والأخلاقية والاجتماعية والإدارية من أحداث فتح مكة المكرمة، والتطبيقات التربوية لتلك المضامين في تربية الناشئة في الأسرة والمدرسة. وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي والمنهج الاستنباطي. ومن أبرز نتائج الدراسة: أنَّ أحداث الفتح اشتملت على مضامين تربوية في الجانب العقدي، وكذلك على مضامين تربوية في الجانب الأخلاقي، والاجتماعي.

**دراسة بافيل (2005)**، وهدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب التعبدي، والجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي، وبيان الآثار التربوية لتلك المضامين على سلوك المسلم وأحواله المختلفة. وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي العلمي المستند إلى التحليل، والمنهج الاستنباطي التأملي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة: غزارة السنة النبوية وثرائها بالمضامين التربوية والتوجيهات المنهجية التي تصلح شؤون الفرد وأحواله، وتضبط علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع سائر المخلوقات.

**دراسة الزهراني (2005)**، وهدفت إلى إبراز المبادئ التربوية من أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري، وبيان دور الأسرة في تطبيق تلك المبادئ التربوية، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أنَّ الاختلاط بين الشعوب الإسلامية بمختلف ثقافتها له أثر كبير على التقدم العلمي، وإنَّ

تطبيق المسلمين في العصور الإسلامية لمبادئ التربية الإسلامية كان سبب من أسباب انتشار الإسلام في مختلف الأمصار واتساع رقعته.

**دراسة الحازمي (2004)**، وهدفت الدراسة إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب التعبدي، وجانب المعاملات، والجانب الأخلاقي، وتطبيق تلك المضامين في المؤسسات التربوية. وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي، ومن أهم النتائج: أنَّ الإسلام جعل الترغيب والترهيب عنصراً مهماً لتربية النفس في معظم مناحيها، وأسلوباً ناجحاً في تقويمها حتى لا تنحدر ساقطة في مغريات الحياة الدنيا.

**دراسة الخيري (1996)**، وهدفت إلى التعرف على المبادئ التربوية التي تحملها آيات الوصايا، ومحاولة تطبيقها ومعرفة آثارها التربوية. واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي. ومن أهم نتائج الدراسة: أنَّ العقيدة أساس كل خير ومنبع كل صلاح، وأنَّ الإسلام اهتم بتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

**دراسة الأنصاري (1996)**، وهدفت الدراسة إلى الوقوف على المعالم الصحيحة لأصول التربية القويمة، والتي تساعد الآباء، والأمهات، والمعلمين، وكل من له عناية بشؤون التربية والتعليم على تربية الأجيال الناشئة تربية إسلامية صحيحة من خلال وصايا لقمان لابنه. واستخدم الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي لاستخراج جوانب التربية الإسلامية من وصايا لقمان. ومن نتائج الدراسة: أنَّ معالم أصول التربية الإسلامية أربعة وهي (العقيدة الإسلامية وجوهرها التوحيد، مراقبة الله تعالى، العبادات، والآداب الاجتماعية).

**دراسة الحلاف (1990)**، وهدفت إلى استنباط نماذج من المبادئ التربوية من الأحاديث القدسية المتعلقة بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية، والتعريف بها، وإبراز الآثار المترتبة عليها في حياة الإنسان. واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الاستنباطي التحليلي للأحاديث القدسية في صحيح البخاري. ومن أهم نتائجها: أنَّ الأحاديث القدسية اشتملت على عدد من المبادئ التربوية التي لا غنى لكل مسلم عنها، فشملت الجانب الروحي والأخلاقي والاجتماعي، ودعت إلى التمسك بفضائل الأخلاق.

**دراسة السعدي (1987)**، وهدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب الروحي والجانب الجسدي، والجوانب الأخلاقية الفردية والاجتماعية. وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي الاستنباطي. ومن أهم نتائج الدراسة: اشتمال الأحاديث الأربعين النووية على مبادئ شملت جميع جوانب الحياة المختلفة الدينية والدنيوية، وأهمية العناية بشرح الحديث الشريف بما يُلائم ظروف العصر.

**مناقشة الدراسات السابقة**

إنَّ علاقة الدراسة الحالية بالدراسات السابقة، يمكن تحديدها من خلال النقاط التالية:

أ) أوجه الشبه: تتشابه الدراسات السابقة مع هذا الدراسة في موضوع الدراسة، إذ إنها جميعها قد عنيت بدراسة نصوص الأحاديث النبوية في مجال المضامين التربوية، واتفقت جميع الدراسات السابقة مع هذا الدراسة في المنهج المستخدم فيها؛ حيث استخدم الجميع المنهج الاستنباطي (تحليل المحتوى).

ب) أوجه الاختلاف: اختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث تحديد موضوع الدراسة؛ فدراسة الحربي (2011) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالعلاقة الزوجية من كتاب النكاح من صحيح الإمام البخاري في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والنفسي، وما يخص آداب المعاشرة الزوجية، ودراسة الزهراني (2011) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالفرد والمجتمع من أحاديث كتاب الاعتصام من صحيح البخاري، ودراسة محمد (2010) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية من الوصايا النبوية في الجانب العبادي، والخُلقي، والاجتماعي، والعلمي، ودراسة الزهراني (2009) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية العقدية والأخلاقية والاجتماعية والإدارية من أحداث فتح مكة المكرمة، ودراسة بافيل (2005) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب التعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي، ودراسة الزهراني (2005) هدفت إلى إبراز المبادئ التربوية من أحاديث كتاب الأدب من صحيح البخاري، ودراسة الحازمي (2004) هدفت إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب التعبدي والأخلاقي، وهدفت دراسة الخيري (1996) إلى التعرف على المبادئ التربوية التي تحملها آيات الوصايا، ودراسة الأنصاري (1996) هدفت إلى الوقوف على معالم أصول التربية القويمة من وصايا لقمان، وهدفت دراسة الحلاف (1990) إلى استنباط نماذج من المبادئ التربوية من الأحاديث القدسية المتعلقة بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية، وأخيراً هدفت دراسة السعدي (1987) إلى استنباط المضامين التربوية المتعلقة بالجانب الروحي والجسدي، والجوانب الأخلاقية الفردية والاجتماعية.

بينما تبحث هذه الدراسة عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية، وبعد البحث في المكتبة التربوية، ومصادر البحث العلمي، تبين أنَّ استنباط المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية في السيرة النبوية،

ودراستها دراسة تحليلية تربوية لم يسبق دراسته من قبل بهذه الوجهة التربوية المتخصصة.

**منهج الدراسة المستخدم**

سارت الدراسة للإجابة على مشكلة الدراسة وفق منهجين هما:

الأول: المنهج النوعي، من خلال استخدام طريقة تحليل المحتوى، وهذه الطريقة التي تعد من أشكال المنهج الوصفي، وتهدف إلى وصف المحتوى وصفاً موضوعياً منظَّماً، وقد استخدمت هذه الطريقة للكشف عن المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية، من خلال إيراد عينة قصدية من مواقف من السيرة النبوية الصحيحة إسناداً، ودراستها دراسة تحليلية. "ويُعدّ أسلوب تحليل المحتوى أحد أساليب البحث العلمي المنظَّم، وهو أسلوب موضوعي ومنظَّم، كما أنه أسلوب كمي وعلمي، يتناول الشكل والمضمون، ويتعلق بظاهر النص، ومن مجالاته المهمة العلوم الاجتماعية" (طعيمة، 1987، ص24–37)، وعرّفه العلماء أيضاً بأنَّه " دراسة وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات"(العساف، 1995، ص206)، "وهو البحث والتقصي المنظم لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وفحصها وتحقيقها ثم عرضها بأسلوب ذكي لتسير في ركب الحضارة الإنسانية". (الدغمي، 1996، ص33)

وسارت الدراسة وفق أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية كأحد مداخل وتقنيات المنهج الوصفي، وذلك بتناول المواقف النبوية الناظمة للعلاقة الزوجية من خلال مواقف مختارة من السيرة النبوية المتضمنة في كتب الحديث النبوي المعتمدة، وتحليل موضوعاتها الرئيسة، واختيار الموضوعات المنسجمة مع حدود الدراسة وإطارها، ثم تحليل مضمونها وتصنيفها إلى مبادئ تربوية عبرت عنها أسئلة الدراسة.

الثاني: المنهج الاستنباطي، وهو "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي، عند دراسة النصوص لهدف استخراج مضامين تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(فودة، وصالح، 1987، ص43)، ويتضمن "استنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة" (يالجن، 1998، ص٢٢)، وهذا المنهج له تأصيل في الدراسات الإسلامية، فقد عرَّفه أهل العلم بالشريعة الإسلامية بأنه "استخراج دقائق المعاني وحقائق الحكمة من آيات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ" (سعد، 1992، ص1)، وهو المنهج المتبع في الدراسة، واستخدام هذا المنهج ساعد على التأمل في أحاديث السيرة النبوية المتضمنة للتوجيهات التربوية الضابطة للعلاقات الزوجية، ودراسة الروايات النبوية الناظمة للعلاقات الزوجية، والثابتة في السيرة النبوية دراسة متأنية ومعمقة وواعية، ثمَّ اختيار عينة قصدية منها، وتحليل مضمون تلك النصوص، وتوجيهها توجيهاً سليماً بعيداً عن تحميلها ما لا تحتمل من الدلالات التربوية بهدف التعرَّف على مدلولاتها ومضامينها التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية، والإفادة منها في مجالات الدراسة.

**مجتمع الدراسة وعينتها:** تكوّن مجتمع الدراسة من جميع أحاديث السيرة النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ، وتكونت عينة الدراسة التي تمَّ تحليلها من عينة قصدية من الأحاديث النبوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية، وبلغ عددها (اثني عشر موقفاً نبوياً).

**نتائـج الدراسة**

**السؤال الأول: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية؟**

**الزوجة أقرب الناس إلى الزوج:** جاء من حديث عائشة رضي الله عنها بدء الوحي: "... فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: (زمّلوني زمّلوني)، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي، وأخبرها الخبر، وقال: (قد خشيت على نفسي)، فقالت له: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها...". (البخاري، 2003، حديث رقم: 3؛ ومسلم، 1997، حديث رقم: 32).

وجاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ... فَبَنَى بِهَا –أي صفية بنت حيي بن أخطب– ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ)، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ".( البخاري، 2003، حديث رقم: 4211).

وقصة مرض موته ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا، وَأَذِنَّ لَهُ، قَالَتْ: فَخَرَجَ، وَيَدٌ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَيَدٌ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ، وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الأَرْضِ،...".( البخاري، 2003، حديث رقم: 4442. والإمام أحمد، 1990، ج 6، ص117)

إنَّ الزوجة دوماً أقرب الناس إلى الزوج، وهي أعظم الناس

مساندةً له عند نوائب الزمان، فالزوجة الصالحة تُذكِّر الزوج عند البلاء بأخلاقة الحسنة، فيهون عليه مصابهُ الذي أصابه، وعلامة حب الزوجين لبعضهما تبرز عند الشدائد، فهما عند البلاء يكونان مثل الجسد الواحد، فديدنهم التشاور والتحاور في الأمور المهمة، والقضايا الزوجية والأسرية الحساسة.

لقد وصف القرآن الكريم العلاقة بين الزوجين وصفاً دقيقاً مُعبّراً من شدة التقارب والتلاحم كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم: 21)، ووصف الله تعالى العلاقة بين الزوجين كذلك باللباس ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾(البقرة: 187)، والمقصود "من استخدام كلمة اللباس للزوجين، أنَّ علاقة الزواج بينهما من الناحية المعنوية، يجب أن تكون مثل ما بين اللباس والجسد من علاقة، بمعنى أن يتصل قلباهما وروحاهما كلٌّ بالآخر، وأن يستر كلاهما الآخر ويحمي كلاهما قرينه من المؤثرات التي تفسد أخلاقه، وتحط من عزته وكرامته، وهذا مقتضى المودة والرحمة". (المودودي، 1979، ص19)

قال ابن كثير: "... فكان أول من خرج فارّاً بدينه إلى الحبشة عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وتبعه الناس..." (ابن كثير، 1984، ص: 15. وابن الأثير، 1996، ج1، ص596). فالصبر والتضحية المتبادلة بين الزوجين سنّة نبوية، فالنبيﷺ يُوجّه الزوجة بضرورة متابعة اهتمامها بزوجها حتى في أشدِّ مراحل الحياة قساوة وخطورة وضعف، فتعليم النبيﷺ ابنته البقاء مع زوجها مع علمه بعظم الخطر عليها في تلك الرحلة، ترسيخاً لمبدأ ثابت في الحياة الزوجية ألا وهو وجوب محافظة الأزواج بعضهم على بعض من التفرق والتشتيت، فالأزواج يكونون مع بعضهم أينما حلّوا أو ارتحلوا، فهم يُقدّمون مصلحة بقاء الأسرة متماسكة، حتى لو كان في ذلك الكثير من المصاعب والويلات.

فقد كانت محبة النبيﷺ لأزواجه محبة مثالية، ومتى حرص الزوج على التعبير العلني عن محبته الصادقة لصاحبه، ولم يخفه عنه، كان لا بدَّ أن تغمر حياتهم المودة والرحمة والبركة والسكينة، وهو ما يجب على الزوجين أن يفعلاه مع بعضهم البعض، حتى تُوّجج مشاعر المحبة وتدوم، وتغمر حياتهما المودة والرحمة والبركة والسكينة، لأنَّه الجو الحميمي الطبيعي الذي يجب أن يعيش فيه أولادهما، يستنشقون منه روح الصدق والمودة والرحمة والسكينة، فيتمثلوا المشاعر الصادقة والطاهرة نحو والديهم، ومحيطهم الأسري والاجتماعي الواسع، وينطلقوا من ظلال حياة أبويهم ليستظلوا بها في مستقبل حياتهم الأسرية، لأنَّه "حينما يتحقق السكن النفسي للزوجين –في إطار الأسرة– فإنَّ ذلك يوفر للأبناء جوّاً مفعماً بالودّ والحنان، وذلك من متطلبات الرعاية والتوجيه والإرشاد، وبذلك تتكون الأسرة المستقرة، التي تصبح دعامة متماسكة لبناء مجتمع آمن". (الأسمر، 1997م، ص246)

وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بممارسة دوره الإرشادي لزوجاته كما يفهم من خلال قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (الأحزاب: 59). وامتدح الله عز وجل نبيه زكريا عليه السلام لقيامه بدوره التربوي تجاه زوجته ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾(مريم: 55). فالعلاقات الزوجية في المنظومة الإسلامية علاقات تكاملية لا تنافسية، فالمسلم –زوجاً كان أم زوجة– مكلَّف بهداية أهله وإصلاح بيته، كما هو مكلَّف بهداية نفسه وإصلاح قلبه، فالإسلام دين أسرة، والبيت المسلم نواة المجتمع المسلم، وواجب على الزوج والزوجة أن يتجه كل منهما بالدعوة أولاً إلى بيته وأهله، وواجبه أن يُحصّن هذه القلعة من داخلها، وأن يحميها من كل عوامل الفساد بالتزام الأحكام الشرعية وتطبيقاتها في الحياة الأسرية (اللجنة التربوية، 2006م، ج3، ص 165–166)، فقد ذهب باندورا –أحد علماء التربية– إلى أنَّ شخصية الفرد تنمو بملاحظته لسلوك الآخرين، وبإدراكه للنتائج المترتبة على هذا السلوك وبفهمه لإمكانية انطباق هذه النتائج عليه، ويؤدي إلى إكسابه لاستجابات جديدة. (الداهري، 2011، أ)

**السكينة والمواساة بين الزوجين روح الزواج:** جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "... فقلت للنبيﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ..." (البخاري، 2003، حديث رقم: 1795. ومسلم، 1997، حديث رقم: 1795).

إنَّ من أهم المقاصد الشرعية للزواج إشباع الحاجات النفسية لكل من الرجل والمرأة، فالسكن والمودة والرحمة مقاصد شرعية ونفسية من الزواج. والعلاقة الزوجية "علاقة جسدية ممتعة... ولكنها لا تتوقف عند حدود الجسد، وإنما هي علاقة لها امتدادات عاطفية وإنسانية وروحية هائلة"(المهدي، 2007، ص125)، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ**

**لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(الروم: 21).

إنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، مفرّغ لهذه النفسية منذ ولادته بنسب متفاوتة، ويظهر ذلك من خلال سكن الإنسان إلى هذا أو إلى ذاك، وتصل قمتها عند البلوغ والرشد حيث يحتاج إلى من يسكن إليها وتسكن إليه، لذلك قرر الله تعالى أنَّ الرجال والنساء في الأصل شيء واحد، والشيء الواحد يسكن إلى بعضه (اليعقوب، 1994)، لذلك فإنَّ مواساة الزوجة لزوجها وسماعها منه ما كان في الماضي يؤجج مشاعر المحبة بين الزوجين، ويقوّي عُرى الود والسكينة بينهما، فقد كانت أمهات المؤمنين يدركن دوماً ومن خلال تفاصيل حياتهنّ مع النبيﷺ أنَّ روح الزواج تتجسد في السكينة النفسية والروحية والجسمية والاجتماعية، وأنَّ المواساة النبوية عنوان للحياة الزوجية السعيدة.

فالإنسان؛ رجلاً وامرأة، بالزواج يستكمل نصفه الآخر، أي يستكمل مقومات حياته، ويمنحها كامل قوتها وفعاليتها الاجتماعية، التي تظل ناقصة وغير مستقرة إلا إذا حدث الزواج الصالح الناجح السعيد، فكل فرد آدمي يظل مفتقراً إلى نصفه أو زوجه الآخر، ويجب عليه أن يستكمله، حتى تتحرك حياته بكامل طاقتها وقوتها الاجتماعية. ذلك "أنَّ التعاون في إطار الأسرة عملية اجتماعية يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها إلى العائلة أولاً، ثمَّ إلى البيئة الاجتماعية، لأنَّ المصالح ووحدة الأهداف تؤدي بالأفراد إلى التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة، والخير العام". (الداهري، 2011، أ، ص71)

إنَّ الرغبة في التعبير عن المشاعر والحوار وما يقابله من إصغاء كل طرف للآخر في أدب رفيع تجسدت في استماع النبيﷺ لعائشة –رضي الله عنها– وهي تروي قصة إحدى عشر امرأة، وما فيها من تفاصيل ودقائق قد لا يحتاج إلى استماعها رجل وقد لا يتفرغ لها رجل مشغول بهموم أمة، لكنه ذلك الخُلق الرفيع للنبيﷺ، وختمه بتعقيب بديع يدل على إصغاء ومتابعة دقيقة لكل ما ورد في جزئياتها بقولهﷺ: (كنت لك كأبي زرع لأم زرع). (البخاري، 2003، حديث رقم: 4896)

وفي قصة عفو رسول اللهﷺ عن أبي العاص من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينبُ رسول اللهﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بني عليها، قال: فلما رآها رسول اللهﷺ رق لا رقة شديدة، وقال: (إن رأيتم أن طلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا)، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها". وعند لفظ أحمد: "وكان رسول اللهﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه وبعث رسول اللهﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: (كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها) (الإمام أحمد، 1999، ج6، ص376. وأبو داود، د.ت، حديث رقم: 2692. والحاكم، 1993، ج3، ص336. وابن هشام، د.ت، ج1، ص653، وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات، وابن إسحاق صرّح بالحديث). وهذا توجيه تربوي نبوي للتطبيق العملي لمبادئ السكينة والمودة بين الزوجين، بصورتها الأخلاقية، ذلك أنَّ الأخلاق "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر منها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُميت تلك الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خُلقاً سيئاً" (الغزالي، د.ت، ص68).

وكان رسول اللهﷺ مثالاً عالياً للوفاء، ورد الجميل لأهله، فقد كانﷺ في غاية الوفاء مع زوجته المخلصة –خديجة رضي الله هنها–، في حياتها، وبعد مماتها، وقد بشّرهاﷺ ببيت في الجنة في حياتها، وأبلغها سلام الله جل وعلا، وسلام جبريل –عيه السلام– (الصلابي، 2008). وتذكر عائشة –رضي الله عنها– وفاء النبيﷺ لخديجة بعد وفاتها بقولها: ما غرت على أحد من نساء النبيﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبيﷺ يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يُقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: "إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد". (البخاري، 2003، حديث رقم: 3818)

**صدق المشاعر.. قاعدة الزواج الناجح:** جاء في قصة أحداث يهود خيبر ما حصل بين النبيﷺ وبين حفصة أم المؤمنين وهذا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما جاء فيه: "... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ... قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي،...". (أبو داود، د.ت، حديث رقم: 3006.، والحديث إسناده صحيح وقد أخرج هذه الحديث مختصراً البخاري، 2003، حديث رقم: 328. و مسلم، 1997، حديث رقم:1551 وغيرهم)

من أجل زواج صالح ناجح سعيد، تغمره السكينة، وتغذيه المودة والرحمة، وتحفه البركة باستمرار، رسمت لنا السيرة النبوية معالم الطريق لذلك، بتعزيز الصدق والطهارة لمشاعر المحبة المتبادلة بين الزوجين كقاعدة أساسية للحياة الزوجية،

إنَّ الصدق والطهارة في مشاعر المحبة بين الزوجين، هما القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الزواج الناجح، ويقوم عليها صرح الأسرة الإسلامية النموذجية، التي تمنح السكينة للعائلة كلها، وتشع بالخيرية والرحمة على محيطها الاجتماعي باستمرار، "إنَّ المراجعة التربوية لا تضر بالعلاقة الزوجية، بقدر ما يضر بها القلق وهو "حالة توتر شامل ومستمر، نتيجة توقع تهديد خطر، فِعْليٌّ أو رَمْزِيٌّ قد يحدث، ويصحبها خوف غامض وأعراض نفسية وجسمية". (الطراونة، 2007، ص35)

إنَّ الحذر من المنفرات في الفكر والسلوك والعادات الشخصية بين الزوجين سنة نبوية لإدامة الحياة الزوجية، لأنَّ الطرف الآخر إذا وقع سمعه أو عينه على منفر ما في رفيق حياته، سينطبع في نفسه، وربما أدى مع مرور الوقت إلى فتور وضمور في حرارة وحيوية العلاقة. فعند ظهور أول بادرة خلاف بين الزوجين، ينبغي أن يتفهم كلٌ منهما الآخر ويصبر على ما يكره، ويحاول كل منهما استرضاء صاحبه وإصلاحه، فالمعاشرة بالمعروف، يجب أن تستمر حتى وإن كره الزوج بعض السلوكيات الصادرة عن زوجته لقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾(النساء: 19).

إنَّ التطهير المستمر للمشاعر من السموم النفسية توجيه تربوي نبوي للزوجين، فكل فكرة أو موقف خاطئ تجاه الذات أو الآخر، تتحول مع الوقت إلى سموم نفسية وسلوكية واجتماعية، تسمم العلاقة بالذات وبالآخرين، لذلك ينبغي على كل طرف في العلاقة الزوجية أن يقوم بالتطهير الدوري المستمر لمنظومة أفكاره ومشاعره، وأن لا يدع الفرصة أبداً لهذه السموم لتستقر في نفسه، وذلك عبر المصارحات والمكاشفات الذاتية التي تجعل كل طرف في العلاقة الزوجية يكتشف الحقيقة ويصحح أفكاره ومواقفه.

**الموازنة بين الرغبات الذاتية وحقوق الحياة الزوجية:** عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: "جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلا يُصَلِّي صَلاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. قَالَ: وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ. قَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا قَوْلُهَا: يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا. قَالَ: فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتْ النَّاسَ. وَأَمَّا قَوْلُهَا: يُفَطِّرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلا أَصْبِرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: (لا تَصُومُ امْرَأَةٌ إلا بِإِذْنِ زَوْجِهَا). وَأَمَّا قَوْلُهَا: إِنِّي لا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ، لا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. قَالَ: فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ". (أبو داود، د.ت، حديث رقم: 2459. والحاكم، 1993، ج2، ص77. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني، الألباني، د.ت.، ط1، ج5 ص206)

"لقد أمر الله عز وجل الأزواج، بحسن معاشرة زوجاتهم ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾(النساء: 19)، وحسن العشرة تكون بالرفق في المعاملة، وأن يبتسم الرجل في وجه زوجته، وألا يعبس في وجهها بدون ذنب، وأن يكون مُنطلقاً في القول لا فظّاً ولا غليظاً"(القرطبي، 1999، ج5، ص64)، وحسن المعاشرة ليس مطالباً به الزوج فحسب، وإنما الزوجان على حدٍ سواء ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾(البقرة: 228).

تُعدّ الموازنة بين الرغبات الذاتية وحقوق الزوجية من منطلقات العلاقة الزوجية وفق المنظومة الاجتماعية النبوية، فالمواءمة بين رغبات النفس وطموحاتها في الالتزام العالي من جهة، وبين حاجات واستطاعات شريك الحياة الزوجية من جهة أخرى، أمر يقع في صميم الوسطية النبوية، ولا يمكن تحقيقه إلا عبر الرفق واليسر والمرونة المنهجية المنضبطة. وقد أقرّ رسول الله ﷺ في الواقعة السابقة ضرورة هذه المواءمة حتى يأخذ كل طرف في العلاقة الزوجية حقه، ويستمتع بحظه من الحياة، وبالتالي يشتغل بكامل طاقته الاجتماعية.

يقول سيد قطب –رحمه الله–: "والأصل في التقاء الزوجين السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار، ليظل السكون والأمن جو المحضن الذي تنمو فيه الفراخ الزغب، وينتج فيه المحصول البشري الثمين، ويؤهل فيه الجيل الناشئ لحمل تراث التمدن والإضافة إليه، ولم يجعل هذا الالتقاء لمجرد اللذة العابرة أو العارضة، كما أنَّه لم يجعله شقاقاً ونزاعاً، وتعارضاً بين الاختصاصات والوظائف، أو تكراراً للاختصاصات والوظائف، كما تتخبط الجاهليات في القديم والحديث سواء". (قطب، 1980، ج3، ص1412)

**دعوة نبوية لتأجُّج مشاعر المحبة:** كان ﷺ يرغِّب الأزواج في تلبية حاجات بعضهم بعضاً، وإيثار ذلك على حظوظ النفس، بل على بعض الواجبات الكفائية الكبرى أحياناً كالجهاد، كما يتضح ذلك من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب: "أنَّ رجلاً من أهل مصر حجَّ البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: قريش، قال: فمن هذا الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء فحدثني، أنشدك الله بحرمة هذا البيت، أتعلم أنَّ عثمان فرَّ يوم أحد؟، قال: نعم، قال: أتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟، قال: نعم، قال: أتعلم أنّه تغيب يوم بدر فلم يشهد؟، قال: نعم، قال: الله أكبر، فقال له ابن عمر: تعال أبين لك ما سألت عنه، أما

فراره يوم أحد، فأشهد أنَّ الله قد عفا عنه وغفر له، وأمَّا تغيبه يوم بدر، فإنَّه كانت عنده أو تحته ابنة رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: لك أجر رجل شهد بدراً وسهمه، وأمره أن يخلف عليها وكانت عليلة،...". (الترمذي، د.ت، حديث رقم: 3706، وقال: هذا حديث حسن صحيح)

إنَّ انتباه الزوجين إلى أوضاع وحاجات بعضهما البعض، والعمل المبكر والدائم على تلبيتها بكل صدق وحماسة، بعيداً عن الاستثقال والتأفف والتذمر، مما يؤجج المحبة بينهما، ويعزز الصدق والإخلاص، ويقوي الشعور بحاجة كل طرف إلى صاحبه.

وكذلك الشكر والتنويه بجهد الآخرين، إذا بدر منهم ما هو جيد وجميل وناجح، مهما قل أو كثر، وقد جُبل الناس على حُب واحترام من أحسن إليهم، والشكر والثناء الحسن من أعظم الإحسان إلى الناس، وتتأكد أهمية الاسترشاد بهذه المنارة بشكل دائم في الحياة الزوجية خاصة من غير تكلف أو اصطناع طبعاً، "لذلك يُعرّف روجرز (Carl Rogrs 1979) الاحترام على أنه اتجاه لتقدير الآخرين كما هم عليه، وهو يُعطي الحق لكل شخص لرؤية الأمور من وجهة نظره". (العزة، 2010، ص125)

إنَّ النبي ﷺ يرسم للمسلمين القدوة في شحذ مشاعر المحبة والتعبير المستمر عنها لأزواجه بمختلف الطرق والوسائل، فقد كان ﷺ يشرب الماء من الإناء الذي تشرب منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان ﷺ يكرم نساءه ويشعرهن بذلك في كل مناسبة، حتى على مائدة الطعام، ويوصي الزوجين بأهمية العناية بكل ما يدخل السرور على صاحبه، وكان ﷺ يصطحب زوجاته معه في رحلاته وزياراته، ويرفّه عنهنّ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، تعبيراً منه لهنَّ عن حبه لهنَّ، واهتمامه بهنَّ، وتقوية لمحبتهن له، وارتباطهن به.

والأسرة من أهم عوامل التنشئة الاجتماعية، وتُعتبر أقوى الجماعات الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد، وتوجيه سلوكه الفردي والاجتماعي، وعلى الزوجين العمل الدائم على تنمية القيم الإنسانية والأخلاقية بينهما من الود والتفاهم والانسجام، والتعاطف والرأفة والمحبة والتآلف، وهذه مجتمعة هي عناصر أساسية للاستقرار النفسي والروحي لكل إنسان، وبالتالي هي عناصر تكيّف واستقرار في الأسرة، تحميها بسياج أمين من عوامل الهدم والفشل. (الداهري، 2011، ب)

**الشخصية الحوارية للنبي ﷺ مع زوجاته نموذجاً لرفع مكانة المرأة واحترام رأيها:** في حديث مشورة أم سلمه على رسول الله ﷺ في الحلق، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي في الصحيح جاء فيه: "خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية... فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبي الله حقاً، قال: (بلى)، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: (بلى)، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً، قال: (إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري)،... فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا فانحروا، ثم احلقوا)، قال فوالله ما قام منهم رجل حتى، قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً...". (مسلم، 1997، حديث رقم: 1860. والبخاري، 2003، حديث رقم: 7231 و 7232).

فمشورته ﷺ لزوجته أم سلمة –رضي الله عنها– تعزيز لمكانة المرأة وتأثيرها الإيجابي في الحياة الزوجية خاصة، وفي مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. "ولذلك يُعرّف علماء النفس الشخصية بأنها الأثر الذي يحدثه الفرد في الآخرين بناءً على مظهره الخارجي، أو الصفات التي يُخفيها الفرد عن الآخرين" (الداهري، 2011، أ، ص363)، وقد كان رأي أم سلمة –رضي الله عنها– سديداً ومباركاً، حيث فهمت رضي الله عنها عن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أمراً... فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به ﷺ، وفي ذلك دليل على مشاورة المرأة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد (النحوي، د.ت). "كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها، وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تُشير على نبي مرسل، ويعمل النبي ﷺ بمشورتها لحلّ مشكلة اصطدم بها وأغضبته". (الديك، 1997، ص273)

إنَّ حُسن الاستماع للآخر، وإدراك فحوى وحقيقة ما يريد، هي مقدمة كل علاقة مثمرة وناجحة بينهما، وسوء الاستماع له، هو مقدمة كل علاقة فاشلة بينهما، فمضامين السيرة النبوية تُقدّم نموذجاً إنسانياً واجتماعياً للزوجين كيف يُصغي أحدهما لنصفه الآخر، وكيف يتحدث إليه بانشراح واطمئنان، وكيف يستمع، وكيف يتكلم ويُؤثر ويُفيد. "لذلك من أنماط التفاعل عند بيرن (Berne) العلاقات الحميمية، وهي تفاعل يُعبّر عن

مشاعر المتفاعلين بطريقة دافئة، ويكتسب الفرد من خلال ذلك حُبّ الآخرين، وتشمل العلاقات الحميمية على تبادل الآراء والخبرات بين الناس في جو آمن تسوده الثقة والمحبة". (العزة، 2010، ص171)

**السؤال الثاني: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في حديث الإفك؟**

**حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك، وقد تضمن ستة مواقف تربوية:** (البخاري، 2003، حديث رقم:4141. ومسلم، 1997، حديث رقم: 2770)

**الموقف الأول:** "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهنَّ خرج سهمها، خرج بها رسول الله ﷺ معه".

عدله ﷺ مع زوجاته يُوجب على المسلمين العدل والإنصاف بين الزوجات، وتوجيه الأزواج لتبني أنجع الأساليب التربوية المناسبة في الأسرة، حتى لا تشعر الزوجة بالظلم، بل إنَّ من مظاهر حب الزوج لزوجته حملهُ إياها في سفره، وحرصهُ على أن تكون معه في حلّه وترحاله.

**الموقف الثاني:** قولها: "... فأخبرتني –أم مسطح– بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، فدخل عليّ رسول الله ﷺ ثم قال: (كيف تيكم؟) قلت: أتأذن لي أن آتي أهلي أبويّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأَذِن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس، فقالت: يا بنية هوني عليك.... وقد قالت قبلها:... لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟...".

وفي معنى الحكمة التي جاء ذكرها في قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(البقرة :١٢٩)، نجد أنَّ "القرآن قد تضمن الجانب النظري من الحكمة، وسيرة الرسول ﷺتقدم الجانب العملي الأمثل والكامل للحكمة لأنها جمعت معاني الحكمة...، ففيها الإتقان والحلول الملائمة، وفيها القدرة الفائقة على التمييز بين الصواب والخطأ، وفيها صواب الرأي وحسن النظر في الأمور وتقييم المواقف، وفيها حسن الإدارة والتصرف، وفيها العبرة والحجة الواضحة، ولقد كانت مناهج الفهم والتفكير والتطبيق النبوي تجسيداً للسنن والقوانين التي تضمنتها آيات الكتاب المنزل من الله تعالى" (الكيلاني، 1984، ص45). فالزوج المسلم يجب أن يميل إلى الحكمة والهدوء وعدم الكلام لمواجهة الأقوال والسلوكيات التي قد تنقل عن زوجتهِ، وأن يتأدب في سلوكه وتعامله مع زوجته حتى يثبت ما يقال، ويحاولا الابتعاد عن بعضهما البعض لفترة محدودة، وهذا ما يظهر من خلال استئذان عائشة –رضي الله عنها– بالذهاب إلى أهلها.

وعلى أهل الزوجة التريث والهدوء في حال ظهور إشكاليات أسرية، وإعانة ابنتهم على اتخاذ القرارات الصحيحة، ولا يكونون وسيلة ضغط لقرار عاطفي متسرع قد يهدم بنيان الأسرة لاحقاً، وهذا ما تعلمنا إياه أُمُّ عائشة –رضي الله عنهما– بقولها لابنتها "يا بُنية هوني عليك".

**الموقف الثالث:** استشارة النبيﷺ لأصحابهِ في قصة الإفك... قالت: "... وقد سأل أسامة: فقال: فأما أسامة فأشار على رسول اللهﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم الود، فقال: هم أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً، وأمَّا علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك في النساء كثيراً، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول اللهﷺ بريرة، فقال: (أي بريرة هل من شيء يُريبك من عائشة؟)، قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أحداً قط أغمصه عليها...".

من الطبيعي أن لا تخلو الأسرة من بعض المشكلات، وبعض هذه المشكلات يستطيع أفراد الأسرة التعامل معها أو مسايرتها أو حلّها فيما بينهم، والبعض الآخر في هذه المشكلات يستطيع المصلحون من أهل الخبرة والدراية المساعدة في حلّها وتجاوزها. (الداهري، 2011، ب)

عند حدوث بعض المشاكل الزوجية يُوجّه النبيﷺ الأزواج إلى استشارة أقرب الناس إليهم، وأن يكونوا أهل عدل وثقة، وخبرة وسلوك قويم، وحكمة بالغة في الاستشارة والتوجيه الإيجابي لأنجع الحلول، ليكونوا عوناً على الخير والإصلاح، والأخذ بيد الزوجين للعودة إلى حالة التوازن النفسي والعقلي قبل اتخاذ القرارات الأسرية، فقد اختارﷺ أسامة وكذلك عليّ – رضي الله عنهما– وهما قد تربّيا في بيت النبوة ومن أقرب الناس إلى بيت رسول اللهﷺ. "ولذلك ذهب البورت Allport (1955) إلى أنَّ الإنسان يرغب بالمشاركة في حلّ مشاكله الخاصة، وفي تحسين وضعه الاجتماعي، وفي اتخاذ قرارات تؤثر فيه وفي الآخرين، سواء في نطاق عائلته أو الأمة التي ينتمي إليها". (العزة، 2010، ص59)

**الموقف الرابع: قالت:** "... وقد لبثت شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فشهد رسول اللهﷺ ثم قال: (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإنَّ العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه). قالت: فما قضى رسول اللهﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول اللهﷺ، فقال: والله ما

أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ... فقالت: إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدّقتم به، فإنْ قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لصدقتموني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"...".

"إنَّ فلسفة نظرية روجرز (Carl Rogrs 1979) تقوم على الإيمان بأنَّ الفرد مهما كانت مشكلاته، فإنَّه يمتلك القدرة على التغلب على مشكلاته بنفسه"(العزة، 2010، ص115)، لذلك فإنَّ التفاهم الأسري وتسامح الزوجين والبدء بحياة جديدة بعيداً عن التمحور حول التذكير بالمشكلات والمواقف السابقة بينهما من مقومات العلاقة الزوجية النبوية السعيدة، وعلى الزوج أن يجد لزوجته دوماً العذر والتسامح، والتريث وعدم الاستعجال في الحكم على القضايا الأسرية الحساسة حتى يقضي الله أمره، فلا تخرج منه أية عبارة قد تؤذي الزوجة، وكذلك الزوجة. وعلى الزوج أن يحرص على احترام كرامة ومشاعر أهل زوجته فلا يُسيء لأيّ منهما، لما للأب وأم الزوجة من وجود قوي في حياة ابنتهما الأسرية، فأب الزوجة وأمها عنصران ملاصقان للزوجة، ولا يمكن أن يخرجا من حياة ابنتهما المتزوجة.

**الموقف الخامس:** قالت: "... فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه عند الوحي... قال: (أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك)، فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلاّ الله هو الذي برأني...".

عند انتهاء المشكلة الزوجية يُستحسن بالزوج أن يتلطف مع زوجته، فمظاهر فرح وسرور النبي ﷺ ببراءة عائشة يدل على أنَّ الزوج يفرح لزوجته عند ظهور برآءتها ولا يتركها بل يقف معها، وعليه احترام وتقدير مشاعر الزوجة وردَّة فعلها، وعلى أُمِّ الزوجة خاصة وأهلها عامة حثّ ابنتهما على احترام زوجها وتوقيره دائماً.

إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع، لأنَّ طلب ما لا يستطاع أو لا يطاق من الطرف الآخر تعنَّت، قد يتكلف تحقيقه لك مرة أو مرتين، لكن ذلك لن يدوم طويلاً، وسيكون مدعاة على التذمر وفساد ذات البين، وهنا يجب على الزوج الحذر من تكليف نصفه الآخر ما لا يستطيع تلبيته، وهذا يستدعي طلب الكمال في الذات لا خارجها، عندها ينجح الإنسان في تغيير نفسه، وحملها على صفات الكمال البشري المطاق.

واقتداءً بالسيرة النبوية المطهرة؛ فإنَّ الليونة والمرونة والرفق في مواجهة التوترات الأسرية أمر حيوي في امتصاص التشنجات العائلية، واحتواء مضاعفاتها بأقل التكاليف وأيسرها، لأنَّها لا تتيح الفرصة لسوء الفهم أو التفاهم ليتطور إلى ما هو أسوأ وأعصى على المعالجة.

ومن ناحية أخرى هنالك إشارة نبوية للزوجين مفادها أنَّ معرفة طبائع وأحوال الآخرين، ضرورة حيوية لحسن التعامل معهم، والانتفاع بما عندهم، واتقاء شرورهم، ومساعدتهم على تغيير أنفسهم، وتتأكد هذه المعرفة في المحيط الأسري بصفة خاصة، حيث على كل طرف فيها أن يبذل جهداً جاداً لمعرفة طباع وعادات وأحوال الآخر بشكل عميق، من أجل علاقة زوجية أكثر انسجاماً وتكاملاً. "ولا شك في أنَّ نجاح الحياة الزوجية أو فشلها، يتوقف على مستوى التوافق بين الزوجين، في القيم والأفكار الخاصة بالحياة الزوجية". (خيال، 1993م، ص159-160)

**الموقفة السادس:** تثار بين آونة وأخرى مشكلة جرائم الشرف، والتي يعتبرها البعض حكراً على المجتمع العربي، وتعبيراً عن قيم الإسلام!؟، ففي الأردن والعالم العربي والإسلامي تقوم مظاهرات عديدة مطالبة بتعديل نصوص القانون المتعلق بجرائم الشرف، فيما اعتبرت منظمات حقوق الإنسان أنَّ هذا الموضوع واحد من القضايا الهامة التي يجب إثارتها ومعالجتها قانونياً؛ والموقف النبوي من حديث الإفك رد صريح على تهم جرائم الشرف.

وفي الوقت الذي يروّج بعضهم أنَّ جرائم الشرف لها صلة بالدين، وبالقيود والحدود التي يضعها على المرأة، وفي مقابل ذلك نرى أنَّ معظم المواد القانونية التي تتساهل مع جرائم الشرف، مأخوذة من القانون المصري، المأخوذ أساساً عن القانون الفرنسي، ومع ذلك فإنَّ هناك من لا يزال مصراً على أن يربط جرائم الشرف بالدين الإسلامي الذي هو منها براء، إمَّا إصراراً على تعمية الحقائق، أو جهلاً بتعاليم الدين الحنيف، أو عداوة للإسلام وأهله.

أيّ عرض كريم يقذفونه، عرض النبي ﷺ وشرفه، هي جرأة على عرض النبي الطاهر قبل أن يكون جرأة عليها –رضي الله عنها–، ولقد ظل محمد ﷺ شهراً كاملاً وأكثر وهو يعيش هذا الظرف العصيب، الذي تخرّ منه الجبال، ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته، وقدوته فلم يستلّ سيفه ويسفك دم عائشة، بل انتظر وصابر نفسه فعندما حسم الوحي اللغط الذي دار حول أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية.

إنَّ جريمة الزنا من أعظم الجرائم في الإسلام ذلك لما يلحق العرض من الرمي به ما ينكس الرأس ويهدم الشرف، وكان من مقاصد الشرع الكريم حفظ الأعراض وصون الشرف لصاحبه، فجاءت التشريعات الربانية متضمنة أحكاماً زاجرة رادعة كفيلة بصيانة الأعراض، وحفظ الكرامة والشرف، حتى تنزجر النفوس عن الإقدام على هذا الجرم الفظيع، وليتأدب عامة المؤمنين بطلب ظن الخير بالآخرين، وعدم المسارعة إلى سوء الظن بالناس، وحتى لا يتخذ الناس الكيد بالاتهام الكاذب ذريعة للخدش والنكاية بلا حق.

وموضوع الإفك ذُكر في سورة النور بعد نزول حد الجلد على الذين يرمون المحصنات، ورمى المحصنات بالباطل سمّاه الله تعالى بالإفك، حيث إنَّ معنى الإفك هو شدة الكذب، وهذه كانت عادة سيئة ساعد على نشرها جماعة المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول كجزء من الحرب النفسية ضد المسلمين.

**مناقشة نتائـج الدراسة**

**السؤال الأول: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في السيرة النبوية؟**

فقد تضمنت نتائج السؤال الأول استنتاج ستة مضامين تربوية ناظمة للعلاقات الزوجية وكانت على النحو التالي:

1) الزوجة أقرب الناس إلى الزوج: فالزوجة دوماً أقرب الناس إلى الزوج، وهي أعظم الناس مساندةً له عند نوائب الزمان، فالمرأة الصالحة لها أثر في نجاح الدعوة الإسلامية، وقد اتضح ذلك في موقف خديجة –رضي الله عنها–وما قامت به من الوقوف بجانب النبيﷺ، وهو يُواجه الوحي لأول مرة، ولا شك أنَّ الزوجة الصالحة المؤهلة لحمل مثل هذه الرسالة، لها دور عظيم في نجاح زوجها في مهمته في الحياة.(الحميدي، 1997)

ذلك أنَّ الأسرة في علم الاجتماع عبارة عن علاقة بين زوج وزوجة، وبين الأولاد من ناحية أخرى، وإنَّ التأثر المتبادل بينهما يُكوّن علاقات توافقية تفاعلية، ينشأ عنه لون جديد من ألوان الفكر الاجتماعي، أو العقل الاجتماعي أو الجمعي... أي أنَّ الفرد ما هو إلا مادة أولية تتأثر وتتكيف بمحيطها الاجتماعي.(الداهري، 2011م، أ)

2) السكينة والمواساة بين الزوجين روح الزواج: إنَّ إشباع الحاجات النفسية لكل من الرجل والمرأة من أهم المقاصد الشرعية للزواج، فالإنسان اجتماعي بطبعه، يظهر ذلك من خلال سكنه إلى أقرب الناس إليه، وهي زوجته. فإنَّ أمهات المؤمنين أدركن دوماً من خلال تفاصيل حياتهنّ مع النبيﷺ أنَّ روح الزواج تتجسد في السكينة النفسية والروحية والجسمية والاجتماعية، وأنَّ المواساة النبوية عنوان للحياة الزوجية السعيدة.

إنَّ الرغبة في التعبير عن المشاعر والحوار في أدب رفيع تجسدت في السيرة النبوية، وأنَّ في حسن الظن والبُعد عن تتبع العثرات والعورات إدامة لأواصر المودة والمحبة بين الزوجين، وإنَّ سوء الظن والولع بتتبع العثرات والعورات، من حوالق العلاقات الزوجية الكبرى، بينما حسن الظن، والتغاضي عن العثرات، وستر العورات، من مُمَتِّنات هذه العلاقات، وصدق رسول الرحمة ﷺ بالتوجه إلى الأزواج بمراعاة هذا البُعد التربوي الناظم للحياة الزوجية بقوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إنْ كره منها خُلقاً رضي منها آخر). (مسلم، 1997، حديث رقم: 1469)

3) صدق المشاعر.. قاعدة الزواج الناجح: أظهرت السيرة النبوية أنَّ الإصرار على فرض الرأي والموقف على الطرف الآخر، بشتى الأساليب التي كثيراً ما تنتهي إلى سلبية الطرف الآخر، ودخوله في دوامات النفاق الاجتماعي، أو تبني منطق المواجهة الذي يفضي إلى تقويض كيان العلاقة الزوجية. "ولذلك يرى بيرن (Berne) أنَّ العضوية الإنسانية بحاجة إلى أشكال عديدة من الاتصالات والاستجابات والتفاعلات مع الآخرين، وإنَّ أول هذه الحاجات هي حاجة الجوع الحسي عند الفرد، والذي يتمثل بأشكال الاتصال أو القرب الجسدي والمحبة والألفة، وإنَّ افتقار الفرد لمثل هذه الحاجات يقوده إلى الحزن والاكتئاب". (العزة، 2010، ص167).

وكذلك يجب أنْ تسود المسامحة والرفق بين المسلمين عامة وبين الأزواج منهم خاصة، وأن يتجنبوا كل ما فيه عنت أو تعنّت، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى يستفيدوا من بركات الرفق، لأنَّه طريق الخير، فالسماحة في المعاملة مع الآخرين وخاصة شريكه في الحياة الزوجية، هي قمة النضج الفكري والروحي والسلوكي لدى الإنسان المسلم، ومن مؤهلات النجاح في الحياة الخاصة والعامة.

4) الموازنة بين الرغبات الذاتية وحقوق الشراكة الزوجية: تُعدّ من المبادئ التربوية الناظمة للعلاقة الزوجية وفق المنظومة النبوية، فالمواءمة بين رغبات النفس وبين حاجات شريك الحياة الزوجية، أمر لا يمكن تحقيقه إلا عبر الرفق واليسر والمرونة، وقد أقرّ رسول اللهﷺ ومن خلال سيرته المباركة وجوب هذه المواءمة حتى يأخذ كل طرف في العلاقة الزوجية حقه من الحياة.

فالعلاقات الزوجية في المنظومة الإسلامية علاقات تكاملية لا تنافسية، فالزوج مكلَّف بهداية أهله وإصلاح بيته، كما هو

مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه، فالإسلام دين أسرة، والبيت المسلم نواة المجتمع المسلم.

5) دعوة نبوية لتأجُّجِ مشاعر المحبة: السؤال الذي يلازم الزوجين باستمرار ويؤرقهما، كيف يمكن المحافظة على استمرارية تأجّج صدق وطهارة مشاعر المحبة المتبادلة؟ إنَّ سيرته ﷺ ومن خلال الموقف السابق سنّت سنة اجتماعية نتيجتها حياة زوجية صالحة وناجحة وسعيدة، وذلك بأن يُظهر الزوج هذه المشاعر لشريك الحياة الزوجية وعدم إخفائها أو كبتها، لأنَّ ذلك من الأخطاء الكبيرة التي تقع في الحياة الزوجية، وتُعَرِّضُها للفتور والجفاء مع مرور الوقت! لذلك يوجّه ﷺ ومن خلال سيرته الإنسانية كلا الزوجين أن يعبّر كل منهما للآخر بشكل مستمر، عن عواطفه الصادقة الطاهرة نحوه، بطرق ووسائل مختلفة، معنوية ومادية، وأن لا يترك أي منهما فرصة تمرّ دون أن يعبر لصاحبه عن عواطف المحبة له، والصدق معه والإخلاص له.

6) الشخصية الحوارية للنبيﷺ مع زوجاته نموذجاً لرفع مكانة المرأة واحترام رأيها: فمشورته ﷺ لزوجته أم سلمة –رضي الله عنها– تعزيز لمكانة المرأة في الحياة الزوجية خاصة، وفي مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وأنَّ الإدارة المشتركة للحياة العائلية تُوجب فلسفة الشورى كأمر تربوي ناظم لكل شؤون الحياة الزوجية، لما في ذلك من تأليف القلوب، وتمتين الصِلات، وتعزيز الثقة، وشحذ روح المسؤولية لدى كل طرف في العلاقة الزوجية، وهو ما سيستفيد منه الأبناء فيما بعد عندما ينشؤون في مثل هذا الجو التربوي، ذلك أنَّ الحياة العائلية إذا اختلَّت إدارتها لصالح طرف فيها، اختلت الحياة الزوجية كلها، ودخلت حالة الفوضى الفكرية والروحية والاجتماعية، ذلك أنَّ قوامة الرجل في البيت، لا تعني مصادرة حق الزوجة في إبداء الرأي والتعبير عن موقفها حيال قضايا الحياة الزوجية المختلفة، "لأنَّ الحاجة إلى التقدير حاجة موجودة في جميع البشر، فكل فرد بحاجة إلى أن يُقدره الآخرون تقديراً إيجابياً، وتبعاً لهذا التقدير يُطوّر الفرد تقديره لذاته"(العزة، 2010، ص115)، وقد امتدح القرآن الكريم مسلك التشاور بين المسلمين في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾(الشورى: 38).

**السؤال الثاني: ما المضامين التربوية الناظمة للعلاقات الزوجية والمتضمنة في حديث الإفك؟**

فقد تضمنت نتائج السؤال الثاني استنتاج ستة مواقف تربوية ناظمة للعلاقات الزوجية من خلال حديث الإفك، وكانت على النحو التالي:

الموقف الأول: عدله ﷺ مع زوجاته يُوجب على المسلمين العدل والإنصاف بين الزوجات.

الموقف الثاني: في ظل الإشكاليات العميقة التي قد تضرب مفاصل الحياة الزوجية على الزوج أن لا يندفع في سلوكه وتفكيره، فيتصرف تصرفاً خاطئاً قد يندم عليه بعد ذلك، فعليه الوعي والدراسة الدقيقة قبل إصدار القرارات الزوجية القوليّة منها والفعليّة. فقد تمر بكل طرف من أطراف العلاقة الزوجية أنواع مختلفة من النفسيات، رضى وغضب، فرح وحزن، وحتى يتم التواصل الإيجابي بين الزوجين، لا بدَّ من فهم نفسية الطرف الآخر، واختيار النفسية المناسبة لكل موضوع، ويظهر تغيّر النفسية على الوجه أو من خلال الكلام أو السلوكيات المتنوعة، والتي تؤدي جزءاً من الرسالة، وتعبّر تعبيراً يُغني في كثير من الحالات عن الكلام. (الحربي، 2011)

الموقف الثالث: استشارة النبيﷺ لأصحابهِ في قصة الإفك، فعند حدوث بعض المشاكل الزوجية يُوجّه النبيﷺ الأزواج إلى استشارة أقرب الناس إليهم، وأن يكونوا أهل عدل وثقة، وخبرة وسلوك قويم، وحكمة بالغة في الاستشارة والتوجيه الإيجابي لأنجع الحلول، ليكونوا عوناً على الخير والإصلاح.

الموقف الرابع: التفاهم الأسري وتسامح الزوجين والبدء بحياة جديدة بعيداً عن التمحور حول التذكير بالمشكلات والمواقف السابقة بينهما من مقومات العلاقة الزوجية النبوية السعيدة، وعلى الزوج أن يجد دوماً العذر لزوجه.

الموقف الخامس: عند انتهاء المشكلة الزوجية يستحسن بالزوج أن يتلطف مع زوجته، فمظاهر فرح وسرور النبيﷺ ببراءة عائشة يدل على أنَّ الزوج يفرح لزوجته عند ظهور براءتها ولا يتركها بل يقف معها.

الموقف السادس: الموقف النبوي من حديث الإفك رد صريح على إلصاق جرائم الشرف بالإسلام ومبادئه وأحكامه الشرعية، فإنَّ ترويج بعض المغرضين والجاهلين أنَّ جرائم الشرف لها صلة بالدين، وبالقيود والحدود التي يضعها على المرأة، دليل على الجهل بتعاليم الدين والمواقف النبوية في السيرة – وخاصة المواقف التربوية الإنسانية لنبي الرحمة في تعامله التربوي في حديث الإفك– هو ما يدفع الكثير البعض لإطلاق الأحكام التي تقييم وتحلل وتنظر من دون أية معرفة علمية بأصول الدين الإسلامي، والحقيقة أنَّ جرائم الشرف ككثير من الممارسات المتخلفة، هي نتاج نمط من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية، التي تقوم على مبدأ الأخذ بالشبهة، والخوف من كلام الناس، والحرص على السمعة دون سند عقلاني، تلك العقلية العصبية المتهورة التي أقامت أحكامها على الشك والظنون، وركبت رياح الغضب والتهور.

وقد ثبت تحريم الزنا في القرآن، والسنة النبوية، والإجماع، قال تعالى ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾(الإسراء: 32)، "فالآية واضحة الدلالة بتحريم الزنا، وأنَّه فاحشة قبيحة وعظيمة، وأنَّ فيه تقطيع الأنساب"(الجصاص، 1994، ج3 ص260). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن) (البخاري، 2003، حديث رقم: 6809)، "فالأحاديث النبوية الواردة في موضوع الزنا تدلل على تحريم الزنا، وأنَّه من أعظم الكبائر، وأنَّه من نواقض الإيمان، وأنَّ ظهوره من أشراط الساعة: (النووي، 1999، ج1 ص327). "وقد أجمع المسلمون على أنَّ الزنا محرم قطعاً، وأنَّ تحريمه مما عُلِم من الدين بالضرورة". (ابن الهمام، د.ت، ج5 ص225؛ ابن حزم، د.ت، ج12 ص169).

واتفق الفقهاء على أنَّ الزنا الموجب للحدّ –العقوبة– يثبت بإحدى الطرق الثلاث:

1– البينة (الشهود): "لم تختلف كلمة الفقهاء في أنَّ حد الزنا يثبت بالبينة بعد تحقق شروطها، والعدد المشروط في الزنا هو: أربعة رجال فأكثر" (ابن عابدين، 1966، ج4 ص7؛ ابن حزم، د ت، ج2 ص2098)، واستدلوا بقوله تعالى ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا**﴾(النساء: 15)، "فالآية الكريمة صريحة في طلب أربعة شهود على الزنا خاصة، تغليظاً على المُدّعي، وستراً على العباد، وهو حكم ثابت في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم". (القرطبي، 1999، ج5 ص76)

2– "الإقرار (الاعتراف بالزنا)، الإقرار سيد الأدلة قديماً وحديثاً، وهو حجة كاملة في إثبات حد الزنا، لكنه قاصر على المقر نفسه، فلا يتعداه لغيره، ولا خلاف بين الفقهاء، أنَّه من اعترف على نفسه بالزنا مختاراً، فإنّه يُقام عليه الحد، واختلفوا في عدد مرات الإقرار على قولين: الحنفية والحنابلة، وابن أبي ليلى، وأصحاب الرأي، لا يحد الزاني حتى يقر على نفسه أربع مرات. وذهب المالكية، والشافعية، وأبو ثور، والحسن البصري، وعثمان البتي، وحماد، وروى ذلك عن أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما إلى أنّه يُكتفى أن يقرّ على نفسه بالزنا مرة واحدة والتكرار ليس بشرط". (مقاط؛ 2007، ص10–11)

3– "ثبوت الزنا بالقرائن (ثبوت الحمل من لا زوج لها ولا سيد ومن يُقاس عليهما): ثبوت الحمل قرينة معتبرة في إثبات الزنا على المرأة غير المتزوجة، أو التي لم يُعرف لها زوج، أو من تزوجت بصبي، أو بمجبوب، أو تزوجت ببالغ وظهر عليها الحمل لأقل من ستة أشهر، أو تزوجت بمن لا يقوى على مباشرة النساء، فقد اتفقت كلمة العلماء في مثل هذه الحالات، على أنَّه إنْ اعترفت المرأة بالزنا بعد ثبوت الحمل، أُقيم عليها الحد، إن لم تدع شبهة، واختلفوا في هذه القرينة –ثبوت الحمل– هل هي كافية وحدها لإقامة الحد، أم لا بدَّ معها من إقرار أو بينة، على قولين: الأول الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار فقط، وهو مذهب جمهور العلماء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة في رواية، والقول الثاني: تُحدّ الحُبلى التي لا زوج لها ولا سيد، إن لم تدعِ شبهة، وهو مذهب المالكية ورواية عن الحنابلة، واختيار ابن القيم وابن تيمية". (مقاط؛ 2007، ص13)

وفي ظلال حديث الإفك دروس وعبر للمسلمين، ورداً على من يتهم الإسلام بجرائم الشرف، ويلصقه بتعاليم الإسلام السمحة، منها:

– الحرص على سمعة المؤمنين، وعلى حسن الظن فيما بينهم قال تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾(النور: 12). ووجوب التثبت من الأقوال قبل نشرها والتأكد من صحتها، قال عز وجل: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾(النور: 16).

"ولذلك فقد حرّم الله تعالى جريمة القذف "وهو الرمي بكل وطء حرام، سواء أكان ذلك في زنا، أم لواط، أم نفي النسب عن الأب"(السحيمي، 1982، 23)، وبيّن تعالى عقاب من ينتهك حرمات المؤمنين والمؤمنات، فيرمون النساء بتهم الفاحشة بل دليل، ويتهمونهنّ في أعزّ ما يملك الإنسان، ألا وهو العرض والشرف بلا دليل أو برهان، قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور: 4)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات والمؤمنات الغافلات) (مسلم، 1997، حديث رقم: 129)

وحذّر الإسلام من إشاعة الخبر الكاذب، ووصف الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم مبتدع الإشاعة، ومروجها بأقبح الأوصاف؛ فقد وصف بالفاسق في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات: 6)، والكاذب في قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا**

**يُفْلِحُونَ**﴾(النحل: 116)، ذلك أنَّ سريان الإشاعة في المجتمع وانتشارها؛ يعني النخر في جسد المجتمع، فالإشاعة تشتمل على كثير من المغالطات وقلب الحقائق، والإذعان لروايات غير موثوقة يرويها أشخاص فقدوا فضيلة الصدق مع أنفسهم ومع غيرهم.

– بيان ما تعرضت له أم المؤمنين من البلاء وصبرها عليه حتى كشف الله غمتها وفرج عمّها، وهكذا يتحقق مصداق قول الرسولﷺ:" أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" (ابن ماجه، 1996، حديث رقم: 4023)، وتجلي الكمال المحمدي، في حادثة الإفك، من الحُلم والأناة، والصبر والكرم، وحسن تدبيره لأموره وأمور أصحابه، واستشارته لأفراد آل بيته فيما يتعلق بهم دون غيرهم.

– تدلنا معالجة النبيﷺ للمشكلة على مدى ما قد آتاه الله من براعة فائقة في سياسة الأمور وتربية الناس والتغلب على مشاكلهم. فلم يعالج الأمر بعاطفة متأثرة، وإنما ترك الحكمة وحدها هي التي تدبر الأمر، لقد كان في هذا الحدث الجلل من خطر الحديث، وشدة البلاء لرسول اللهﷺ ما لم يعلم مداه إلا العليم الخبير، ولكن رسول اللهﷺ كان إمام الصابرين، صبر أجمل الصبر، وعالج الأمر بحكمة هادئة، فقد كان همه أن يقي المجتمع المسلم من عواصف الفتن، وهزات المحن.

– إنَّ المواقف النبوية المتضمنة في حديث الإفك تؤكد أنَّ سماحة التعامل بين الزوجين تؤجج صدق وطهارة مشاعر المحبة، وتبثّ المودة والرحمة والبركة والسكينة في الحياة الزوجية كذلك، أي تبادل حسن المعاملة ولطافتها ويسرها وليونتها وجماليتها، بحيث يحرص كل طرف على احترام مشاعر الآخر، وإشعاره بمكانته وقيمته، والبُعد عن كل ما من شأنه أن يخدش هذه المشاعر، أو ينتقص منها قيمة ومكانة، فقد رسمﷺ في سيرته المطهرة نماذج تطبيقية راقية في فقه المسامحة في الحياة الزوجية النبوية، ومواجهة التوترات العائلية، ولم يحاولﷺ فرض خياراته ورغباته على خيارات ورغبات زوجاته، بل كان يدع لهنَّ الحرية الكاملة في ممارسة هواياتهن وتلبية حاجاتهن الخاصة، بل كان يمنع كل من يريد أن يحرمهنَّ من ذلك دون مبررات شرعية أو مصلحية واضحة وراجحة، وهذا من سماحته وحلمه وحكمتهﷺ في إدارة الشأن الأسري، وتوفير أجواء الراحة والسكينة والسعادة فيه، مرسخاًﷺ "أسلوب الإقناع المنطقي القائم على تحديد أسباب السلوك المضطرب من أفكار ومعتقدات غير منطقية، وإعادة المسترشد إلى التفكير الواقعي"(الداهري، 2011، ب، ص498). فالسماحة من الأصول الكبرى للمحافظة على تأجيج صدق وطهارة مشاعر المحبة بين الزوجين، وبث المودة والرحمة والبركة والسكينة في حياتهما الزوجية الخاصة، والعائلية العامة، والاجتماعية الأعم، فإذا لم يتقن كل من الزوجين آداب وأخلاقيات وفنون السماحة في المعاملة بينهما، فإنهما لن يستطيعا تعميق وتوطين مشاعر المودة والرحمة والسكينة والبركة في بيتهما.

– لقد واجه النبيﷺ التوترات العائلية بروح نبوية حافظت على ديمومة جو عائلي مليء بالمودة والمحبة، والمرح واللطف والسماحة تجاه زوجاته، فقد كان حليماً معهنّ، رحيماً بهنّ، صبوراً عليهنّ، غير معنِّتٍ لهنّ أو متعنت معهنّ، متجاوزاً عن أخطائهنّ، مساعداً لهنّ على تجاوز بعض مشكلاتهنّ الذاتية والعائلية. ذلك أنَّ انتقاء ثورة فقدان التوازن النفسي والفكري والبدني في مواجهة المشكلات الزوجية سنة نبوية، لما يترتب على الغضب "وهو حالة نفسية يشعر بها كل إنسان، ولكن المواقف المثيرة للغضب تختلف من فرد لآخر"(الطراونة، 2007، ص126)، من فقدان الإنسان لوعيه، وعدم قدرته على التحكم في أعصابه، فإذا قابله غضب مضاد اشتعلت نار أحرقت المودة والسكينة، بما يصدر عن ذلك من مواقف مؤذية، وخير دواء لمواجهة أخطار الغضب، هو عدم تهييج الطرف الغاضب، والحرص الشديد على تسكين ثورة غضبه بالسكوت عنه، ومساعدته لاجتياز تلك المرحلة النفسية.

– وتوجهنا السيرة النبوية إلى وجوب الحذر من تدخلات المحيط في الشأن الأسري الخاص، ففي كثير من الأحيان، تؤدي تدخلات محيط الأسرة الممتدة ومحيط الصداقة، إلى إلحاق أضرار بسكينة الأسرة الصغيرة، والدفع بها في دوامات التجاذب المنهك. لذلك يتعين على طرفيّ العلاقة الزوجية الحرص على وقاية عش الزوجية من كل مؤثر خارجي سلبي.

**التوصيات:**

– تشجيع طلبة العلم على إجراء البحوث والدراسات التي تُعنى باكتشاف كنوز السيرة النبوية في العلوم التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة، ليعيش المتعلمون في سماء السيرة الواسعة، ومعانيها السامية.

– التوجّه العلمي إلى تأصيل الجوانب التربوية المتضمنة في السيرة النبوية، لإبراز دور السيرة النبوية في وضع الأسس والمبادئ التربوية، الناظمة لجميع مجالات الحياة المعاصرة.

– استنباط الحلول الشرعية التربوية من مضامين السيرة النبوية التي تقي الأسرة المسلمة من شرور الاختلاف والتفرق المذموم، وتعالج أخطارها وآثارها السلبية على واقع الأمة ومستقبلها.

## المراجع


ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي، 1996، الكامل في التاريخ، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن حزم؛ أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (د ت)، الإيصال في المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البغدادي، بيروت، دار الفكر.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، 1984، الفصول في سيرة الرسول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، 1996، سنن ابن ماجه، الرياض، دار المعارف.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك محمد بن هشام الحميري (د.ت)، سيرة ابن هشام، بيروت، المكتبة العصرية.

ابن الهمام؛ محمد بن عبد الواحد السيواسي (د ت). شرح فتح القدير، ط2، بيروت، دار الفكر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت)، سنن أبي داود، الرياض، دار المعارف.

الأسمر، أحمد، 1997، فلسفة التربية في الإسلام (انتماء وارتقاء)، عمان، دار الفرقان.

الألباني، محمد ناصر الدين (د.ت)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط6، الرياض، دار المعارف.

الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، 1999، مسند الإمام أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية.

الأنصاري، عبد الرحمن بن محمد، 1996، معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد١٠٥-106، المجلد١، سنة ١٤١٧هـ، ص ٤١٧-496.

بافيل، محمد بن سعيد، 2005، المضامين التربوية المستنبطة من كتاب الفتن من صحيح البخاري، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البخاري، محمد بن إسماعيل، 2003، صحيح البخاري، بيروت، دار ابن حزم.

برغوث، الطيب، 1996، منهج النَّبيّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

البُغا، مصطفى، 1990، نظام الإسلام، دمشق، منشورات جامعة دمشق.

الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت)، سنن الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية.

الجصاص؛ أحمد بن علي أبو بكر الرازي، 1994، أحكام القرآن، ط1، بيروت، دار الكتب العربية.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، 1993، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحربي، سلطان بن مسفر، 2011، المضامين التربوية للعلاقة الزوجية من خلال كتاب النكاح من صحيح البخاري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية.

حسنة، عمر عبيد، 1996، مقدمة كتاب (في السِّيرة النَّبَويَّة، قراءة لجوانب الحماية والحذر)، لإبراهيم علي أحمد، سلسلة كتاب الأمة. عدد45، رجب 1417هـ، الدوحة، قطر.

الحلاف، محمد بن عبد العزيز، 1990، نماذج من المبادئ التربوية المستنبطة من الأحاديث القدسية من خلال صحيح البخاري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الحميدي، عبد العزيز، 1997، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ط1، الإسكندرية: دار الدعوة.

الخشت، محمد، 1984، المشاكل الزوجية وحلولها في ضوء الكتاب والسنة، القاهرة، مكتبة القرآن للطباعة والنشر.

خيال، محمد، الجوهري، محمود، 1993، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، الإسكندرية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع.

الخيري، عبد المجيد أحمد محمد، 1996، المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشور، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة.

الداهري، صالح، 2011م، أ، أساسيات علم الاجتماع النفسي والتربوي، عمان، دار حامد.

الداهري، صالح حسن، 2011، ب، علم النفس الإرشادي: نظرياته وأساليبه الحديثة، ط2، عمان، دار وائل للنشر.

الدغمي، محمد راكان، 1996، أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط2، الأردن، مكتبة الرسالة.

الديك، محمد، 1997، المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ط2، عمان، دار الفرقان للنشر.

الراوي، مسارع، 2008، قضايا تربوية عربية في رؤى إسلامية، الناشر المؤلف.

الزهراني، سعاد بنت سعيد الزهراني، 2005، المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب الأدب من صحيح البخاري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الزهراني، ضيف الله علي سعيد، 2009، المضامين التربوية المستنبطة من فتح مكة المكرمة وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية المقارنة.

الزهراني، عادل بن سعيد بن أحمد، 2001، المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح الإمام البخاري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المدينة المنورة.

زيدان، عبد الكريم، 1988، أصول الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة.

السحيمي، محيا بن مسعد، 1982، أحكام القذف في الشريعة

الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
سعد، محمد توفيق سعد، 1992، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة، مصر، مطبعة الأمانة.
السعدي، عوض بن ردة، 1987، المبادئ التربوية المستنبطة من الأربعين النووية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
الصلابي، علي محمد، 2008، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط7، بيروت، دار المعرفة.
الطراونة، عبد الله، 2007، مبادئ التوجيه والإرشاد: مشاكل الطلاب التربوية، النفسية، السلوكية والاجتماعية، عمان، دار يافا العلمية.
طعيمة، رشدي، 1987، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربي.
العزة، سعيد حسني، 2010، الإرشاد الجماعي العلاجي، ط2، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
العساف، صالح، 1995، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، مكتبة العبيكان.
عمر، كوثر محمد، 1997، عوامل استقرار الأسرة في الكتاب والسنة، بيروت، دار خضر للنشر.
العمري، أكرم ضياء العمري، 1991، في السِّيرة النَّبَويَّة الصَّحيحةِ، المدينة المنورة، مكتبة دار العلوم والحكم.
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (د ت): إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.
الغزالي، محمد، 1994، خلق المسلم، بيروت، دار الكتب الحديثة.
فودة، حلمي، وعبد الرحمن صالح، 1987، المرشد في كتابة البحوث التربوية، بيروت، دار العلم للملايين.
القرطبي، محمد بن أحمد، 1999، تفسير القرطبي، تحقيق سالم البدري، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
قطب، سيد، 1980، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
قطب، محمد، 1991، كيف نكتب التَّاريخ الإسلامي، الرياض، دار الوطن للنشر.
قوصى، محمد ذيب وآخرون، 1998، سلسلة فتاوى شرعية، غزة، الجامعة الإسلامية.
الكيلاني، ماجد عرسان، 1994، تطور مفهوم النظرية التربوية، دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية، ط٢، دمشق، دار ابن كثير.
اللجنة التربوية، 2006، المفاهيم التربوية في أسرة الأنبياء عليهم السلام، الكويت.
محمد، محمد نور إبراهيم، 2010، المضامين التربوية المستنبطة من الوصايا النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، 1997، صحيح مسلم، الإمارات العربية المتحدة، بيت الأفكار الدولية.
مقاط؛ عماد عبد الرحيم، 2007، أثر الظروف الطارئة على حد الزنا في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
المودودي، أبو الأعلى، 1979، حقوق الزوجين، المختار الإسلامي للطبع والنشر.
المهدي، محمد عبد الفتاح، 2007، الصحة النفسية للمرأة، المنصورة، دار اليقين.
النحوي، عدنان، (د.ت)، ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ط2، الناشر المؤلف.
النووي؛ يحيى بن شرف النووي، 1999، صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق: محمد محمد تامر، ط1، القاهرة، دار الفجر للتراث.
يالجن، مقداد، 1998، مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، الرياض، عالم الكتب
اليعقوب، محمد أحمد، 1994، المشكلات التربوية الناجمة عن الطلاق في المجتمع الأردني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

# The Educational Implications that Organize the Marital Relationships in the Biography of Prophet Mohammad

*Yassein. A. Al Maqosi**

## ABSTRACT

The study aimed at revealing the educational implications that organize the marital relationships derived from the biography of prophet Mohammad linking the steadfastness of the biography of prophet Mohammad with the contemporary realities so it would be the guide to Muslims in marital relationships.

To answer the questions of the study, two methods were used. The first was the descriptive method and it was used to reveal the educational implications that organize the marital relationships included in the biography of prophet Mohammad through mentioning situations in the biography of prophet Mohammad and studying them analytically. The second method was the deductive approach. It was used to access the educational implications.

The study population consisted of all Hadith of the biography of prophet Mohammad and the study sample which was analyzed consisted of a purposive sample of the hadiths of the biography of prophet Mohammad that organize the marital relationships included in the biography of prophet Mohammad and they were 12 prophetical situations.

The results of the study showed that the biography of prophet Mohammad included prophetical rules and guidance that lead people to precise details that organize the marital relationships and that prophet Mohammad (peace be upon him) treated his wives on the basis that they are equivalents for men .

**Keywords**: The Biography of Prophet Mohammad, The Marital Relationships, Educational Implications.

* The World Islamic Sciences and Education University, Jordan.Received on 29/4/2013 and Accepted for Publication on 27/6/2013.